فكر قوم هود عليه السلام

- رسالة قوم هود عليه السلام
- موقف الملأ المستكبرـن
- شبهة المنكرين للبعث
- خلاصة موقف الملأ
- نصر الله
- تواصل الأجيال البشرية
- تتابع الرسل

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ
أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا
هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ
﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ
أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾
قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ
فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ
بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا
بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

المؤمنون الآيات من ٣١ – ٤٤.

رسالة قوم هود عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٣١، ٣٢.

هذه هى القصة الثانية فى سورة المؤمنون- بعد قصة نوح عليه السلام ..

والقرن هو الأمة من الناس، وليس مرادا به ما تعارفنا عليه وهو الفترة الزمنية التى هى مائة سنة..

وهذه الأمة هى قوم هود عليه السلام فى رأى أكثر أهل العلم، لقوله تعالى على لسان هود فى سورة الأعراف ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ الآية ٦٩، ولمجىء قصة هود عقيب قصة نوح فى سورة الأعراف وفى سورة هود وفى سورة الشعراء..

وقد بعث الله تعالى نبيه هودا عليه السلام إلى قبيلة عاد بالأحقاف فى منطقة حضرموت، وكانوا يعبدون الأصنام، ويتخذون آلهة يصنعونها بأيديهم، ولم يشكروا نعمة الله التى أسبغها عليهم فى قوة عسكرية، ورخاء اقتصادى، وحضارة عمرانية، قال تعالى فى سورة الشعراء على لسان هود عليه السلام ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟

ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الآيات من ١٢٨ - ١٣٥.

لقد جاءهم نبى الله هود من أنفسهم، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فأرشدهم إلى عقيدة التوحيد الخالص لله عز وجل، ووجههم إلى حسن استخدام القوة، وحذرهم مغبة الانحراف العقدى والسلوكى، وذكرهم بقوة الله وبأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين..

إن الناس فى غيبة الوحى الإلهى تحكمهم شريعة الغاب، فيتربص بعضهم ببعض، وتستمر فيهم الشهوة، ويفسدون فى الأرض..

ولا عاصم لهم إلا دين الله وشرعه الذى بعث به الرسل وجاهد عليه الأنبياء، وتحمله المصلحون من بعدهم فى كل زمان ومكان، نورا وأمنا ورخاء..

موقف الملأ المستكبرين

قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ المؤمنون الآيات ٣٣، ٣٤.

تواصل سورة المؤمنون عرض قصة هود عليه السلام، لقد وقف زعماء الفتنة الذين كفروا بالله وأنكروا البعث والنشور، وانغمسوا فى الشهوة الآثمة، وطغت على عقولهم المادة الوضيعة- وقف هؤلاء يرفضون دعوة الإصلاح، ويتمسكون بالعادات والتقاليد البالية، ويرهبون ضعفاء الأمة، ويقدمون لهم حججا واهية..

إنهم يقولون لرعاياهم: «ما هذا إلا بشر مثلكم، يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون» لقد رفضوا نبوة هود لأنه بشر..

والعجب منهم أنهم قبلوا الألوهية للحجر، فاتخذوا الأصنام والأوثان آلهة تعبد، وقدموا لها القرابين، وضحوا بكرامة الإنسان أمام الحجارة الصماء..

أى منطق هذا؟!

هل يريدون نبيا ملكا؟! فكيف- إذا- يلتقى حوله الناس، ويستشمرون قربه وأنسه، ويتخذون منه القدوة والمثل الأعلى؟.

إن هودا عليه السلام لم يكن بدعا من الأمر، فما بعث الله نبيا إلا من البشر، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ﴾ الأنبياء الآيات ٧، ٨.

وإن رفض نبوة هود لبشريته دعوى كاذبة وحجة داحضة قيلت من قبل ومن بعد، قيلت لنوح عليه السلام: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ المؤمنون الآية ٢٤.

وقيلت لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ ﴾ الفرقان الآية ٧، وإن الذين رددوها لم يكونوا من العقلاء ولا الحكماء، وإنما رددها السفهاء المستكبرون، الذين يريدون استمرار هيمنتهم على الأمة، وبقاء استعبادهم للبشر، فهم ملأ من القوم أى جماعة متسلطة عليهم تزين لهم القبيح وتقودهم إلى الهاوية..

❁ ❁ ❁

شبهة المنكرين للبعث

قال الله تعالى ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٣٥ – ٣٧.

تعرض الآيات موقف الملأ المستكبرين من قوم هود عليه السلام، لقد أنكروا البعث، واستبعدوا الجزاء والحساب بعد أن يكونوا ترابا وعظاما نخرة..

فلفظ «هيهات» يقال للبعيد المنال، العسير الحصول، ويقرأ بالفتح والكسر، منونا وغير منون.. ثم زادوا فى الكفر، وأكدوا استحالة البعث فقصروا حياة الإنسان على الوجود والعدم، وجعلوا قصة البشرية تنتهى عند حافة القبر..

فقولهم ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ يعنى ما هى إلا بطون تدفع وأرض تبلع، يموت البعض ويعيش البعض، هكذا بلا مسئولية ولا حساب ولا جزاء..

والواو فى قوله ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ليست للترتيب، وإلا كانوا مقرين بالبعث بعد الموت، فلا يعنى قولهم ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أنهم

يحيـون بعد الموت، وإنما مقصودهم يموت البعـض ويحيا البعض، أو يحصـل لهم موت وحياة ويجتمع عليهـم الصفتان دون أن يريدوا حياة بعد الموت.

ويلاحـظ أن صدر قصة هود فى هذه السـورة الكريمة كان خطابا من الملأ المسـتكبرين للمسـتضعفين من قومهم كقولهم ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾، وقولهم ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ﴾، ثم كان ختام القصة حديثا عن الملأ أنفسـهم فقالوا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وقالوا ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

ولهـذا التنوع فى الأسـلوب حكمة، ذلـك أنهم حاولـوا فى البدء اسـتمالة المسـتضعفين، وخداعهم ثم منحوا أنفسهم حق الحديث عنهم وتقرير عقيدة المجتمع فقالـوا ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وهذا شأن الجبارين فى الأرض، ولقد قالها فرعون من بعد ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة غافر الآية ٢٩.

وقضيـة البعث واضحة الدالالة، ظاهرة البرهان، سـاطعة الحجة، فالذى خلق قادر على أن يعيد، بل الإعادة أهون فى نظر العقل، والذى أبـدع الكواكب العظـام والجبال الشـامخات وأودع فى الكون أسـرارا وآيات- أقدر على أن يعيد ذلك الكائن الضعيف وأن يبعث الإنسـان من قبره ليحاسبه على ما قدمت يداه..

خلاصة موقف الملأ

قال الله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) ﴾ المؤمنون الآية ٣٨.

لقد رفض الملأ المستكبرون من قوم هود أن يؤمنوا بالرسالة لبشر منهم، وطعنوا فى عقيدة البعث، وذهبوا إلى استحالة عودة البدن الإنسانى بعد أن يصير ترابا وعظاما، وأخيرا قذفوا نبيهم هودا عليه السلام بالكذب على الله..

وهذا موطن التناقض، وموضع العجب.. هل هم حقا يؤمنون بالله؟!

لو كانوا مؤمنين بالله وقدرته وجلاله وكماله ما عبدوا أصناما واتخذوها آلهة..

هل هم حقا حريصون على تحرى الصدق والتزام الأمانة فى القول والعمل؟!

لو كانوا كذلك ما استبعدوا البعث وأنكروا الحساب والجزاء، فإن هذا الانكار هو الكذب بعينه، والبهتان بذاته والضلال بأجمعه..

هل هم حقا يأنفون أن يخضع قومهم لنبى من البشر؟

لو كان يعنيهم عز قومهم ما تسلطوا عليهم وأرهبوهم فكريا وعقديا وبدنيا..

لقد تحدث القرآن المجيد عن علاقة الإرهاب هذه فى سور قرآنية كثيرة، منها ما جاء فى سورة سبأ ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الآيات من ٣١ – ٣٣.

وهكذا اجتمع قوم هود كبراؤهم وضعفاؤهم- على تكذيبه، واصل هود النصيحة والترغيب والترهيب، وتقديم الأدلة وحسن البيان، فلم يكترثوا بدعوته واستخفوا برسالته وأصروا إصرارًا.. وعبر القرآن المجيد عن ذلك فى سورة الشعراء فقال على لسانهم ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الآيات من ١٣٦ – ١٣٨.

نصر الله

قال الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٣٩ - ٤١.

نأتى إلى خاتمة قصة هود عليه السلام فى سورة المؤمنون، لقد يئس هود من إيمان قومه، واستنفد معهم كافة وسائل النصح والإرشاد، وظلوا على عدائهم واستهزائهم بالدعوة والداعى، بالرسالة والرسول..

فتوجه هود عليه السلام إلى ربه ضارعا: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ أى انصرنى على قومى وأنزل سخطك بهم وبأسك عليهم لأنهم كذبوا وعاندوا..

فهذا دعاء بتحقيق الوعد والوعيد، الوعد بالنصر والتمكين لدعوة الحق ودعاته، والوعيد بالهزيمة والهلاك للباطل وأهله، كما قال تعالى فى سورة الصافات ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الآيات من ١٧١ - ١٧٣.

وكان الجواب الإلهى حاسما وسريعا: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٠.

وندمهم فى هذه اللحظة لا يجدى فتيلا، فإن لحظة العذاب والهلاك ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ الأنعام الآية ١٥٨.

ووقع الحق وبطل الباطل، فجاءتهم الصيحة، عذاب استئصال حل بالقوم عدلا إلهيا، لا ظلم فيه، وحتما مقضيا لا دفع له، فأصبحوا غثاء كغثاء السيل، مما يعلوه من الزبد (الرغوة) يذهب ولا يبقى له أثر..

والصيحة المذكورة هنا فسرتها آيات فى القرآن المجيد كقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾ الحاقة الآيات من ٦ – ٨.

والريح الصرصر هى الريح الباردة، لها صوت شديد مزعج..

وهكذا تحقق وعد الله ووعيده، وتلك سنة جارية لا تتخلف، «فبعدا للقوم الظالمين» أى هلاكا وسوء عاقبة..

فالظلم ظلمات، وأفحش الظلم الكفر والشرك والاستهزاء بآيات الله ورسله..

وإن عدل الله يلاحق هؤلاء الظالمين وإن طال بهم الأمد، حتى إذا أخذهم وأدركهم كانوا سلفا ومثلا للآخرين..

قال تعالى فى سورة السجدة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢ ﴾ الآية ٢٢.

تواصل الأجيال البشرية

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٤٢، ٤٣.

القصص القرآني يقدم فنونا عدة في أساليب العرض، وحكاية الوقائع، وتتابع الأحداث..

فتارة يفصل وأخرى يجمل، وتارة يستقصي وأخرى يتخير، وفي سورة يبرز جانبا وفي أخرى يؤكد جانبا آخر.. كل ذلك حسب السياق الموضوعي للسورة، والهدف المراد منها، والغاية المنشودة.. قال جل شأنه ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود الآية ١٢٠.

وسورة المؤمنون ساقت بعض القصص بما يتناسب مع حكمة السورة في بيان موقف الأمم من دعوة الرسل، وعدل الله في ملاحقة المكذبين، فقدمت قصة نوح وقصة هود عليهما السلام، ثم طوت بعض المراحل، فجاءت على سبيل الإجمال في قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المؤمنون الآية ٤٢، ثم عادت فذكرت قصة موسى وعيسى عليهما السلام، ثم ختمت بقصة محمد ﷺ..

والقرون هى الأجيال البشـرية التى أنشـأها الله وخلقها، ومنحها الوقـت والحياة لتواصل مسـيرة الوجود الإنسـانى فى عمـارة الكون بمنهج الله..

ولقد حدد الله لكل أمة أجلا، كما حدد لكل فرد عمرا، فإذا كان الإنسان الفرد يولد ويكبر ويشيب، فإن الأمم كذلك تولد وتزدهر وتضمحل..

وتعد هذه الإشـارة القرآنية مدخلا مهما لعلـم الاجتماع، وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمته أن للدولة أجلا تنتهى عنده، تمر خلاله بثلاثة أجيال:

جيـل يبنى ويؤسـس، وجيل يحافـظ، وثالث ينغمـس فى الترف وينسى الحماية والمدافعة..

وهكذا تتوالى أجيال البشـر فى تعاقب مستمر، لا تتقدم أمة أجلها وتستأخر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

تتابع الرسل

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المؤمنون الآية ٤٤.

شملت عناية الله الإنسان خلقا وهداية، فقد خلق الله الإنسان خلائف، يخلف بعضهم بعضا، وتتعاقب الأجيال زمنا بعد زمن..

وفى كل جيل، وفى كل زمن تتابعت رسالات الله عز وجل، تنير الطريق للسالكين، وتضىء المعالم الواضحة للسائرين، وتحدد ملامح المنهج القويم لعمارة الكون وعبادة رب العالمين وكلمة «تترى» على وزن فَعْلى، كدعوى وتقوى، وتاؤها بدل من الواو، فإنها مأخوذة من الوتر، وأصلها وَتْرى، وهى من المواترة بمعنى المتابعة..

ومع تتابع الرسل ووضوح المنهج وسلامة الهدف ونبل الغاية فإن الناس فى أزمان كثيرة لم يستجيبوا الاستجابة المحمودة، ولم يستوعبوا عبرة التاريخ فكذبوا الرسل واختلقوا الأقاويل حول الرسالة والرسول، فحقت عليهم اللعنة وشملهم الهلاك وصاروا خبرا بعد عين، وعبرة لأولى الألباب، وأصبحت أحوالهم وأحداث حياتهم مما يتلهى بها الناس، ويتندر بها فى المجالس..

فقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ له معنيان:

الأول: أحاديث جمع حديث، بمعنى أن القوم المكذبين اندثروا وبادوا ولم يبق لهم أثر إلا أحاديث تروى عما كانوا عليه وما آلوا إليه..

الثانى: أحاديث جمع أحدوثة، بمعنى أن القوم المكذبين تحولوا إلى مادة استهزاء وسخر لمن بعدهم، صاروا أحدوثة أى أعجوبة وأضحوكة..

وإذا كان ذلك عاجل عقابهم فى الدنيا فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى..

وقوله تعالى ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ معناه أن الهلاك ملازم لهم فى الدنيا والآخرة فالإنسان لا تنتهى حياته بالقبر، بل ينتقل إلى مرحلة أخرى للحساب الأكبر والجزاء الأبدى..

والناس فريقان: شقى وسعيد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير..